جامعة سوهاج

كلية التربية

المجلة التربوية

تربية الجوارح في الإسلام تكامل المعرفة والوجدان والعمل

دراسة وصفية تحليلية

البحث تم إعداده بدعم من مؤسسة ذات (ZAT) للبحث التربوي والنفسي الإسلامي.

إعداد

مصطفى محمد عبدالمهيمن جمال الدين
مدير أكاديمية ذات للبحث التربوي النفسي الإسلامي

عبد الله السيد علي محمد القطب
باحث ماجستير في جامعة الأزهر
abdallh1453@gmail.com

عبدالله حسين سالم حسين
باحث أول في مجال علم النفس التربوي

أ.م. د. وائل أحمد عبدالله صبره
أستاذ الفلسفة والتفكير العلمي المساعد بكلية الآداب بجامعة سوهاج

تاريخ استلام البحث : ٤ سبتمبر ٢٠٢٥م – تاريخ قبول النشر: ١٠ نوفمبر ٢٠٢٥م

المستخلص:

تناول هذا البحث موضوع **(تربية الجوارح في الإسلام: تكامل المعرفة والوجدان والعمل)**، من منظور تربوي تحليلي يسعى إلى بيان أن تربية الجوارح ليست مجرد توجيه سلوكي خارجي، بل هي جدارة إسلامية أساسية، تتكامل فيها الأبعاد المعرفية والوجدانية والسلوكية لبناء الشخصية المسلمة المتوازنة، التي تجمع بين صفاء العقيدة وحيوية الشعور واستقامة السلوك.

وتكمن أهمية موضوع البحث في كونه يعيد تسليط الضوء على قيمة تربوية أصيلة في الإسلام، طالما وردت الإشارة إليها في نصوص الوحي وأقوال السلف، لكنها لم تُدرس دراسة مستقلة بوصفها جدارة إسلامية متكاملة؛ إذ تساهم في تحقيق الانضباط الذاتي للفرد، وترسيخ الهوية الإسلامية في مواجهة التحديات القيمية والسلوكية المعاصرة، فضلًا عن دورها في بناء المجتمع القويم الذي يسوده العدل والفضيلة.

وقد تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال استقراء النصوص القرآنية والنبوية ذات الصلة، وأقوال العلماء، وتحليلها في ضوء أبعاد الجدارة (المعرفة، الوجدان، السلوك)، وصولًا إلى صياغة تصور تربوي شامل لتفعيل تربية الجوارح في واقع المسلم المعاصر.

وتوصل البحث في أهم نتائجه إلى أن: تربية الجوارح مؤصلة شرعًا، وتمثل بعدًا جوهريًا في بناء شخصية المسلم، وأن ضبط الجوارح يرسخ الرقابة الذاتية ويعزز الانضباط السلوكي، وأن التكامل بين المعرفة والوجدان والسلوك شرط لفاعلية التربية الإسلامية، وأن تربية الجوارح تمثل حصانة للهوية الإسلامية أمام تيارات الانحراف، وأن أثرها لا يقتصر على الفرد، بل يمتد إلى صلاح المجتمع وحفظ قيمه.

ويوصي البحث بضرورة إدماج جدارة تربية الجوارح في المناهج التربوية والبرامج الدعوية، وإعداد دراسات تطبيقية تربطها بالعلوم الإنسانية، وتعزيز الوعي المجتمعي بأثرها، وتطوير برامج عملية لتدريب الجوارح على الطاعة وضبط السلوك.

الكلمات المفتاحية: الجدارات الإسلامية – تربية الجوارح – المعرفة – الوجدان – السلوك – التربية الإسلامية.

Abstract

This study explores "Training the Human Faculties in Islam: Integration of Knowledge, Emotion, and Action" from an educational and analytical perspective. It argues that disciplining the faculties (jawāriḥ) is not merely an external behavioral adjustment, but a core Islamic competency integrating cognitive, affective, and behavioral dimensions to shape a balanced Muslim personality—combining sound belief, emotional vitality, and upright conduct.

The research highlights the renewed importance of this value, deeply rooted in the Qur'an, Sunnah, and statements of early scholars, yet rarely treated as an independent educational construct. Training the faculties promotes self-discipline, strengthens Islamic identity amid contemporary moral and behavioral challenges, and supports the development of a virtuous society grounded in justice and morality.

Using a descriptive-analytical method, the study examines Qur'anic and Prophetic texts and scholarly insights, analyzing them through the triad of knowledge, emotion, and behavior. This approach yields an educational framework for reviving the practice of training the faculties in today's Muslim context.

Key findings confirm that disciplining the faculties is integral to Islamic character formation, enhances self-monitoring and behavioral regulation, and safeguards Islamic identity from deviant influences. Its effects extend beyond the individual, contributing to social reform and the preservation of collective values.

The study recommends integrating this competency into curricula and da'wah programs, encouraging applied research linking it to human sciences, raising public awareness, and designing practical programs that nurture disciplined faculties through obedience and moral action.

Keywords: Islamic competencies – knowledge – emotion – behavior – Islamic education

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ونبيه محمد ﷺ وبعد:

تمثل تربية الجوارح في الإسلام جانبًا أساسيًا من بناء شخصية المسلم وصلاحه، إذ تُعنى بضبط الحواس والجوارح – كاللسان واليد والعين – وفق منهج الشرع، بحيث تكون أداة للخير لا للشر. على مستوى الفرد، تسهم هذه التربية في تهذيب النفس وتقوية الضمير، فتجعله أكثر وعيًا بمسؤولياته أمام الله وأمام نفسه، فيحفظ لسانه من الغيبة والكذب، وعينه من النظر إلى المحرمات، ويده من البطش والاعتداء. أما على مستوى الآخرين، فهي تحفظ حقوقهم وتصون كراماتهم، مما يشيع الطمأنينة والثقة في العلاقات الإنسانية. وعلى مستوى المجتمع، تؤدي تربية الجوارح إلى نشر العدل والسلام الاجتماعي، وتقليل الفساد والظلم، وبذلك يتحقق التكافل والتراحم الذي دعا إليه الإسلام. لذا، فإن تربية الجوارح ليست مجرد التزام شخصي، بل هي أساس لبناء مجتمع متماسك قائم على القيم والأخلاق.

ومع تسارع حياة العصر الحديث وانتشار وسائط الإغراء، أصبحت السيطرة على الجوارح وضبطها ضرورة ملحّة في التربية الإسلامية، فالتقنية الحديثة والأجواء المادية المشبعة تُفاقم الميل إلى إهمال الزهد وممارسة الشهوات، مما يستدعي استحضار معاني الزهد والورع ومحاسبة النفس، وقد عبّر التراث الإسلامي عن ذلك بوضوح في أكثر من موطن؛ فمثلاً أكد رسول الله ﷺ أنّ صوم المسلم ليس مجرد امتناع عن الطعام والشرب، بل هو تربية للجوارح على الامتناع عن كل ما لا يحبه الله ولا يرضاه، قال ﷺ: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ" (١)، وفيه دلالة على ارتباط التقوى بضبط اللسان والسمع والبصر، وإن إدراك هذه الحقيقة يوضح أهمية تربية الجوارح كوسيلة لتحصين النفس من فتنة الدنيا وترسيخ السلوك الحسن، لذلك تأتي هذه الدراسة لتعيد ضوءً تربويًا منهجيًا على قيمة هذه التربية في بناء الشخصية المسلمة المتوازنة، وفق منظور إسلامي تكاملي.

(١)أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي: صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة – دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فِي الصَّوْمِ، حديث رقم (١٨٠٤)، (٢/ ص٦٧٣).

- **مشكلة الدراسة:**

في ظل التحولات الفكرية التي أعادت تعريف الإنسان بعيدًا عن مرجعيته الشرعية، وفشل كثير من نظم التعليم الإسلامي في استيعاب هذا التحول أو مقاومته، بات من الضروري التفكير في نموذج تربوي يعيد بناء "الجدارة" من داخل النسق العقدي والروحي للمسلم، لا كاستجابة لصدمة الحداثة، بل كامتداد أصيل للوحي ومنهجه في التكوين.

وقد أشار عدد من المفكرين المسلمين، ومنهم أحد أبرز التربويين المعاصرين "ماجد عرسان الكيلاني (1932–2004)[1] ، إلى أن كثيرًا من المشاريع التربوية الإسلامية الحديثة انطلقت من مشكلات خارجية، وحاولت "أسلمة" النماذج الغربية بدلاً من تفكيكها، فانتهت إلى حلول تلفيقية عاجزة عن إنتاج مسلم متكامل وظيفيًا وروحيًا.

ويبدو التحدي أكثر وضوحًا حين نلاحظ أن أغلب الأطر التربوية المعاصرة، مثل إطار الجدارات الشخصية والاجتماعيةCASEL [2]، وإطار الجدارات العالمية لمنظمة التعاون الاقتصاديOECD[3]، تركّز على المهارات الشخصية والاجتماعية والانفعالية، لكنها تُفرغ الجدارة من غايتها الشرعية. فلا حضور فيها لمقاصد الخلق، ولا لمفهوم العبودية، ولا لدوائر التزكية التي يُلحّ عليها القرآن الكريم. وهكذا تحوّل التعليم إلى عملية تكيفية تهدف إلى الإدماج الاقتصادي والاجتماعي، لكنها تعجز عن الإجابة على السؤال الوجودي العميق :كيف

---

1 - ماجد عرسان الكيلاني (١٩٣٢–٢٠٠٤): مفكر تربوي إسلامي أردني، أسس لنموذج تربوي إسلامي أصيل انطلاقًا من الوحي، من أهم مؤلفاته: "التربية والتجديد"، و"هكذا ظهر جيل صلاح الدين." انظر لمحة تعريفية ومصادر: https://www.islamonline.netأو الإحالة إلى كتبه مباشرة.

2 CASEL (Collaborative for Academic, Social, and Emotional Learning): إطار تربوي أمريكي يهدف إلى تنمية الكفاءات الاجتماعية والانفعالية لدى المتعلمين، مثل: الوعي الذاتي، إدارة الانفعالات، صنع القرار المسؤول.

انظر المصدر:

-Collaborative for Academic, Social, and Emotional Learning (CASEL). "What is the CASEL Framework?" https://casel.org/fundamentals-of-sel/what-is-the-casel-framework

3 OECD Competency Frameworks: أطر عالمية صادرة عن منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، تهدف إلى تنمية المهارات المستقبلية كحل المشكلات، التفكير النقدي، والتواصل الفعال، دون مرجعية دينية أو قيمية صريحة. انظر المصدر:

-OECD. "OECD Core Competency Framework", Organisation for Economic Co-operation and Development. https://www.oecd.org/en/about/careers/apply/core-competency-framework.html

أكون عبدًا لله؟ وكيف أرتقي في سلّم الإيمان؟

من هنا، لا يمكن بناء جدارات إسلامية صحيحة دون العودة إلى القرآن والسنة، لا كمصادر وعظية؛ بل كنصوص تكوينية ترسم مسارات التحوّل الداخلي للمؤمن، بدءًا من العقيدة وانتهاءً بالسلوك والعادة. فالتربية في التصور الإسلامي لا تبدأ من الخارج، بل من القلب والنية، ثم تمتد إلى المهارة والسلوك والعادة، على قاعدة قوله تعالى {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا}{الشمس: ٩}، وهي مركزية التكوين التي أهملتها النماذج الغربية المعاصرة، كما أشار الغزالي بقوله:" غاية العلم العمل، وغاية العمل التزكية" (1).

من هنا جاءت فكرة جدارة تربية الجوارح؛ حيث يعد ترك الجوارح دون ضبط وتربية من أخطر ما يهدد الفرد والمجتمع، إذ تنفلت الحواس والجوارح فتقع في المعاصي والذنوب، فيفسد القلب ويضعف الإيمان. على مستوى الفرد، يؤدي ذلك إلى الانغماس في الشهوات والانحراف السلوكي، مما يورث القلق والاضطراب النفسي ويبعده عن طاعة الله. وعلى مستوى العلاقات مع الآخرين، يتسبب انفلات الجوارح في انتشار الظلم والعدوان وانتهاك الحقوق، فيضيع الأمن الاجتماعي وتتفكك الروابط الإنسانية. أما على مستوى المجتمع، فإن غياب ضبط الجوارح يفتح الباب للفوضى الأخلاقية وانتشار الجرائم والفساد، فيضعف بنيانه ويهدم قيمه. لذلك، فإن إهمال تربية الجوارح ليس خطأ فرديًا فحسب، بل خطر شامل يهدد استقرار المجتمع وأمنه القيمي والروحي.

من ثم، تنطلق إشكالية هذا البحث في السؤال الرئيسي الآتي:

كيف يمكن تحليل "تربية الجوارح" كمفهوم إسلامي من منظور الجدارة الإسلامية، وتحديد أبعادها المعرفية والوجدانية والسلوكية، بما يسهم في بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة؟

ويندرج تحت هذا السؤال الرئيسي عدد من الأسئلة الفرعية، منها:

١. ما الإطار المفاهيمي لتربية الجوارح عند الإنسان المسلم؟

٢. ما الأسس الشرعية والعلمية لاعتبار "تربية الجوارح" جدارة إسلامية أساسية؟

٣. كيف يمكن استخلاص مكونات جدارة تربية الجوارح (المعرفية، الوجدانية، السلوكية) من الأدلة الشرعية وأقوال العلماء؟

٤. ما أبعاد تربية الجوارح في الإسلام؟

٥. ما هي مجالات وآليات تربية الجوارح في حياة المسلم؟

1 أبو حامد الغزالي .إحياء علوم الدين .بيروت: دار المعرفة، كتاب العلم، الباب الأول.

٦. ما القيمة التربوية لتربية الجوارح من حيث تهذيب السلوك وترسيخ الانضباط الذاتي وبناء المجتمع القويم؟

- **أهداف الدراسة:**

تهدف الدراسة بشكل عام إلى دراسة وتحليل "تربية الجوارح" بوصفها مفهومًا إسلاميًا من منظور الجدارة الإسلامية، وتحديد أبعادها المعرفية والوجدانية والسلوكية، بما يسهم في بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة.

كما تهدف هذه الدراسة في أهدافها الفرعية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والتربوية، أبرزها:

١. التأصيل الشرعي والتربوي لمفهوم تربية الجوارح وبيان مكانتها في بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة.

٢. تحليل تربية الجوارح بشكل شامل بوصفها جدارة إسلامية من خلال عناصرها الثلاثة: التصور (المعرفة)، والشعور (الوجدان)، والسلوك (العمل)، استنادًا إلى النصوص الشرعية وأقوال العلماء.

٣. صياغة تصور تربوي يربط بين تربية الجوارح كمفهوم إسلامي وبين كونها جدارة عملية تسهم في ضبط السلوك وتكوين المسلم الراشد المتكامل.

٤. الكشف عن أبعاد تربية الجوارح في الإسلام؟

٥. إبراز القيمة التربوية لتربية الجوارح من خلال بيان دورها في تعزيز الانضباط الذاتي، وترسيخ الأخلاق، وبناء الهوية المسلمة المتوازنة

- **الدراسات السابقة:**

تكاد تقتصر الدراسات المنشورة حول تربية الجوارح على مقالات فرعية في سياق عبادات أو أخلاق، دون بحث مستقل وعميق، فقد تناولت بعض الدراسات مفهوم تربية الجوارح من زوايا متعددة، حيث ركزت الدراسات الشرعية على ضبط الجوارح في ضوء نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف، وبيان دورها في حفظ الدين وحماية الأخلاق، كما اهتمت بعض الدراسات التربوية بآثار ضبط الجوارح على تزكية النفس وبناء السلوك القويم، أما الدراسات التي تناولت مفهوم الجدارة الإسلامية وربطته مباشرة بـ تربية الجوارح كمفهوم متكامل يشمل الأبعاد المعرفية والوجدانية والسلوكية، فما تزال محدودة، ولا تكاد توجد أبحاث متخصصة تعرض تربية الجوارح بوصفها جدارة إسلامية شاملة تؤثر في جميع جوانب حياة المسلم

وتحقق التوازن بين القلب والعقل والعمل، وفيما يلي بعض الدراسات التي تناولت تربية الجوارح استقلالا أو ضمنا:

١. دراسة: عرد، مروة محمد، وستايش، محمد كاظم رحمان (٢٠٢٣)، والتي بعنوان: "الترغيب بالإيمان بالله وأثره في تربية الجوارح".

هدفت الدراسة إلى بيان مركزية الإيمان بالله تعالى وأثره المباشر في توجيه سلوك الإنسان وتربية جوارحه، باعتباره الأساس الذي تُبنى عليه العبادة الصحيحة وسائر أركان الإيمان، وأوضحت أن الإيمان بالله هو الركيزة الأولى التي ينطلق منها المسلم في تزكية نفسه وتطهير قلبه وضبط جوارحه؛ لأنه البناء الأساسي لبقية الأركان والآمر بالالتزام بها، وبينت الدراسة أن كل ما أمر الله به إنما يحقق حياة الإنسان الروحية والأخلاقية، ويصنع منه شخصية قادرة على عمارة الأرض والفوز بالآخرة.

وتتقاطع هذه الدراسة مع البحث الحالي في إبراز أثر الإيمان في إصلاح السلوك وتوجيه الجوارح نحو الطاعة، غير أن الدراسة السابقة ركزت على الجانب العقدي والإيماني باعتباره منطلقًا للعبادة الصحيحة، بينما هذا البحث يسعى إلى خطوة أوسع؛ إذ يتناول تربية الجوارح بوصفها جدارة إسلامية متكاملة، تُحلل أبعادها المعرفية والوجدانية والسلوكية، وتُربط مباشرة بالبرامج التربوية والتكوينية لبناء المسلم المتوازن.

٢. دراسة: الضاوي، مهدية محمود آدم (٢٠٠٤)، والتي بعنوان: "جوارح الإنسان في ضوء القرآن الكريم".

هدفت هذه الدراسة إلى بيان مفهوم تربية الجوارح كما عالجه القرآن الكريم والسنة النبوية، واستجلاء أبعاده التربوية المؤثرة في بناء شخصية المسلم، من خلال تحليل شامل للنصوص الشرعية ذات الصلة، وتناولت الدراسة دور الجوارح – كاللسان، والعينين، واليدين، وسائر الأعضاء – في تحقيق العبودية الصحيحة وضبط السلوك الإنساني وفق الضوابط الشرعية.

وقد ركزت الدراسة على أهمية العلم في تهذيب الجوارح، بوصفه نورًا للقلوب، وميزانًا للأقوال والأعمال، ودليلاً على التفريق بين الحلال والحرام، وأكدت أن تربية الجوارح لا تقتصر على الجانب الأخلاقي أو السلوكي فقط، بل هي عملية متكاملة تشمل التربية الإيمانية والعقلية والوجدانية، بما يعزز الانضباط الذاتي ويحقق التوازن بين الظاهر والباطن، وبيّنت أن أهمية الموضوع تنبع من أثره المباشر في بناء الأرواح والنفوس وضبط مسار الحياة اليومية للمسلم، وأن الجوارح أمانة ومسؤولية سيحاسب عليها الإنسان

وتتقاطع هذه الدراسة مع البحث الحالي في إبراز أهمية تربية الجوارح في بناء الشخصية المسلمة، غير أن الدراسة السابقة ركزت على عرض مفصل للجوارح ووظائفها ومعانيها في النصوص الشرعية، بينما ينطلق هذا البحث خطوة أبعد، إذ يتناول تربية الجوارح بوصفها جدارة إسلامية تربوية تطبيقية، ويحلل أبعادها المعرفية والوجدانية والسلوكية، ويقترح إطارًا بنائيًا لتفعيلها في البرامج التربوية والمجتمعية المعاصرة.

٣. دراسة: السلمي، فهد بن عبدالمنعم بن صقير (٢٠٢٢)، والتي بعنوان: "عناية القرآن بالجوارح الظاهرة للإنسان: دراسة موضوعية".

هدفت الدراسة إلى بيان مدى عناية القرآن الكريم بجوارح الإنسان الظاهرة، من خلال استقراء شامل للآيات القرآنية ذات الصلة، وتناولت الدراسة تعريف مفهوم الجوارح في القرآن، واستجلاء ما إذا كانت النصوص القرآنية قد شملت جميع الجوارح الظاهرة للإنسان، مع بيان الحكمة التربوية الكامنة في ذلك.

وقد خلصت الدراسة إلى أن القرآن الكريم أولى الجوارح الظاهرة عناية شاملة ومتكاملة، واستوفى ذكر جميع الجوارح، مع التركيز على اليد بوصفها رمزًا جامعًا لأعمال الإنسان وكسبه، إذ نُسبت إليها الأعمال في مواضع عدة، وأبرزت الدراسة كذلك أن هذه العناية القرآنية لا تقتصر على بيان الأحكام أو التحذير من المخالفات، بل تشمل توجيه المسلم نحو ضبط سلوك جوارحه بما يعزز التقوى ويحقق مقاصد الشريعة في تزكية النفس وحماية المجتمع.

وتتقاطع هذه الدراسة مع البحث الحالي في إبراز أهمية الجوارح ودورها في البناء التربوي، غير أن الدراسة السابقة اقتصرت على بيان العناية القرآنية بها، بينما يتناول هذا البحث تربية الجوارح بوصفها جدارة إسلامية تربوية تطبيقية، مع تحليل أبعادها المعرفية والوجدانية والسلوكية وربطها بالبرامج التربوية المعاصرة.

٤. دراسة: خطاطبة، عدنان مصطفى (١٤٣٦هـ). "الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية وانعكاساته التربوية – دراسة تأصيلية".

هدفت الدراسة إلى بحث الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية بصورة تأصيلية وبيان مفهومه ومرتكزاته وانعكاساته التربوية على الفرد والمجتمع. كما سعت إلى صياغة إطار نظري يوضح كيفية استناد التربية الإسلامية إلى منظومة أخلاقية متكاملة مستمدة من القرآن والسنة لتوجيه العملية التربوية نحو بناء شخصية إسلامية متوازنة.

استخدم الباحث المنهج الوصفي الاستنباطي، حيث استقى المعارف من أصولها الشرعية

(القرآن والسنة) مدعومة بآراء العلماء، ثم حللها وصاغها على شكل مرتكزات نظرية تبنى عليها التربية الإسلامية نظرياً وتطبيقياً.

وتوصلت الدراسة إلى أن: الأصل الأخلاقي يمثل روح العملية التربوية في الإسلام وأساسها القيمي والسلوكي. وأن التربية الإسلامية ملزمة بمراعاة مرتكزات هذا الأصل في الجانبين النظري والتطبيقي، بما يضمن انسجامها مع أنظمة الإسلام وقيمه. وأن مرتكزات هذا الأصل تشمل المصدرية (الرجوع للوحي)، الثبات، الشمول، الواقعية، النسقية، والمعيارية، وكلها توجه العملية التربوية نحو تكوين شخصية أخلاقية متوازنة. وأن الالتزام بهذه المرتكزات يحقق تربية أخلاقية موضوعية تحمي المجتمع من الانحرافات الفكرية والسلوكية وتغرس المسؤولية الخلقية. وأوصت الدراسة بإدماج مرتكزات الأصل الأخلاقي وطرق تطبيقها في مناهج التعليم الإسلامي. وبتشجيع طلبة الدراسات العليا على إنجاز بحوث ورسائل تربط بين الأخلاق والتربية والتعليم في ضوء القرآن والسنة. وإعداد برامج عملية لترسيخ القيم الأخلاقية في المؤسسات التربوية، وضمان أن تكون التربية الإسلامية تربية مسؤولة وناقدة وإيجابية.

- **المنهج المتبع في الدراسة:**

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي والمنهج الأصولي الاستنباطي لمناسبتهما لموضوع تربية الجوارح، ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

١. المنهج الوصفي: يقوم على استقراء النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية، إلى جانب أقوال العلماء والمفسرين، لاستخلاص مفهوم تربية الجوارح وتحديد أبعادها ومكوناتها الأساسية، وبيان دورها في تحقيق الانضباط السلوكي وبناء الشخصية المسلمة المتوازنة.

٢. المنهج الأصولي الاستنباطي: من خلال ربط تربية الجوارح بالأصول الإسلامية من القرآن والسنة والفكر التربوي الإسلامي؛ حيث يقوم على تحليل هذه المكونات في ضوء إطار الجدارة (المعرفة، الوجدان، السلوك)، وتفكيكها إلى مؤشرات عملية قابلة للتطبيق والملاحظة، مع ربطها بالجوانب العقلية والروحية والتربوية، وإبراز أثرها في ضبط السلوك وتوجيهه نحو الطاعة والإصلاح.

وتطمح الدراسة إلى أن تقدم إسهامًا علميًا أصيلاً في تأصيل تربية الجوارح كمفهوم تربوي إسلامي متكامل، وتحليلها من منظور الجدارة الإسلامية، بما يسهم في تعزيز البرامج التربوية والتكوينية، ويساعد على بناء المسلم الراشد القادر على مواجهة التحديات القيمية والسلوكية

في العصر الحاضر.

- **المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للجوارح عند الإنسان.**

لقد مَنَّ الله تعالى على الإنسان بنعمٍ لا تُحصى ولا تُعد، يعجز لسانه عن شكرها، فقد سخر له الكون كله، وييسَّر له سُبُل العيش، وبيَّن له طريق الخير ليسلكه، وحذَّره من طريق الشر ليجتنبه، ومن أعظم تلك النعم نعمة الجوارح التي أعانه الله بها على تحقيق الغاية التي خُلق من أجلها، وهي عبادته سبحانه وحده.

وقد أمر الله بحفظ هذه الجوارح وحُسن استعمالها فيما ينفع، ونهى عن توجيهها إلى ما يُهلك ويضر، لأنها إما أن تكون سبب نجاة الإنسان إذا استُعملت في طاعة الله، وإما أن تكون سبب هلاكه إن وُظِّفت في معصيته، ولأجل خطورة هذا الجانب؛ اعتنى القرآن الكريم والسنة النبوية بالجوارح عناية خاصة، فذكرها في مواضع كثيرة، موجّهًا إلى استثمارها فيما ينفع، ومحذِّرًا من عواقب سوء استعمالها في الدنيا والآخرة، وفيما يلي بيان ما هي الجوارح الظاهرة، وكيف تكون تربيتها وحُسن استعمالها فيما ينفع في المطالب الآتية:

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للجارحة:

١- الجدارة:

تُشتق الجدارة في اللغة من الجذر الثلاثي "ج د ر"، وتدل على الاستحقاق والأهلية. فيقول ابن فارس: "الجيم والدال والراء أصلٌ يدل على إحاطة وإصلاح وبناء"[١]، ومنه قولهم: "فلان جدير بكذا" أي مستحق له ومستوجب له عن صلاح وتناسب.

وقد ورد الاشتقاق القرآني لهذا الجذر في قوله تعالى: [الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ] {التوبة: ٩٧} وقد فسّر ابن كثير هذه الآية بقوله: "أي أحقّ وأقرب ألا يعلموا حدود ما أنزل الله، لبعدهم عن الوحي والعلم" [٢]، وفسرها القرطبي: "أي أخلق وأولى؛ فالجَدَارة هنا بمعنى التهيؤ للحرمان"[٣] ويظهر من التوظيف القرآني أن "الجدارة" ليست قيمة إيجابية فقط، بل وصفٌ قابل للازدواج، فقد يُقال: "جدير بالجهل"، كما يُقال: "جدير بالعلم". فالمصطلح يعكس القابلية الداخلية واستعداد النفس للارتقاء أو الانحدار، وهو ما يجعله في السياق القرآني محكًّا للنية والتزكية لا للمهارة المجردة.

---

١ ينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، تح. عبد السلام هارون، ج١، دار الفكر، 1979م، ص ٣٢٧.
٢ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٢، دار طيبة، ١٩٩٨م، ص ٣٤٩.
٣ ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٨، تحقيق: عبد الله التركي. مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦، ص ١٣٩.

٢- الجارحة:

من أصل مادة (ج ر ح): تدور حول معنيين أصليين: الأول- الكسب والاكتساب: ومنه قوله تعالى: ﴿ أَم حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجعَلَهُم كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآء مَّحيَاهُم وَمَمَاتُهُم سَآءَ مَا يَحكُمُونَ ﴾ **[الجاثية: ٢١] أي: اكتسبوا، وسُمّي العمل اجتراحًا لأنه يكون بالجوارح أي الأعضاء الكاسبة. الثاني- شق الجلد وإحداث الأثر: أي الجرح المعروف بالسلاح أو نحوه. ومنه قولهم: جرحه جرحًا، أي أثر فيه.**

ومن استعمالات المادة: (الجرح بالضم): الأثر في البدن بالسلاح ونحوه، (الجرح بالفتح): ما يكون باللسان في المعاني والأعراض كالطعن في الناس، (الاستجراح): العيب والفساد، (تجريح): إذا كَثُر الجرح أو العيب.

ومعنى الجوارح: في اللغة: من الطير والسباع: ما يُصطاد به (ذوات الصيد)، ومن الإنسان: أعضاؤه التي يكتسب بها الأعمال، سُمّيت بذلك لأنها تجرح وتؤثر وتكسب، على هذا؛ فإن الجوارح الظاهرة تُطلق على الأعضاء التي يتكوّن منها جسم الإنسان ويستعملها في أفعاله، فكل ما يُنسب إلى العين أو الأذن أو اللسان أو الفم أو اليد أو الرجل أو الفرج يُعدّ من عمل الجوارح، إذ إن كل عضو من هذه الأعضاء يُسمّى جارحة قال تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠] أي ما اكتسبتم من الأعمال.

فكلمة الجوارح في أصلها اللغوي راجعة إلى معنى الكسب والأثر؛ فالجوارح من الإنسان هي الأعضاء التي يكتسب بها ويعمل، ومن الطير والسباع ما يُصطاد به، وسُمّيت كذلك لأن فعلها يترك أثرًا ويكسب نتيجة، سواء في البدن بالجرح، أو في العمل بالكسب [(١)].

---

(١) **ينظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م (١/ ٣٥٨)، وينظر أيضًا: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٨٩ - ١٣٩٢ هـ/ ١٩٦٩ - ١٩٧٢ م (١/ ٤٥١)، و محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – دولة الكويت، عدد الأجزاء: ٤٠، ١٣٨٥ - ١٤٢٢هـ/ ١٩٦٥ - ٢٠٠١م (٦/ ٣٣٦).**

المطلب الثاني: عدد الجوارح لدى الإنسان

الإنسان هذا المخلوق المُكَرّم، مُنِحَ من الخالق جلّ وعلا جسدًا مُحكمًا ومُتكاملًا، ليس فقط لأداء الوظائف الحيوية، بل ليكون وسيلة للعبادة والتكليف، وتُعرَف أجزاء هذا الجسد التي يُكتَسَب بها الخير أو الشر باسم الجوارح، وهي الأعضاء الظاهرة التي تصدر عنها أفعال الإنسان من قول أو عمل أو حركة، وهي محطّ تكليف شرعي ومسؤولية أخلاقية، إذ يُسأل الإنسان عنها يوم القيامة، وتُعَدّ وسيلة التواصل مع العالم الخارجي.

وقد ورد ذكر الجوارح في القرآن والسنة في مواضع متعددة تؤكد دورها في طاعة الله أو معصيته، وتبين عظم أثرها في صلاح الفرد والمجتمع، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، فالآية تمثل قاعدة كبرى في تربية الجوارح وضبط سلوك الإنسان؛ فهي تؤكد أن كل جارحة أودعها الله في جسد الإنسان إنما هي أمانة، وسيُسأل العبد يوم القيامة عن كيفية استعمالها، وقد فسّر ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية بالنهي عن القول بلا علم، وبيّن قتادة أن فيها تحذيرًا من ادعاء الرؤية أو السماع أو العلم بما لم يقع في الحقيقة، وهو ما يبين خطورة إطلاق الجوارح بغير ضابط شرعي.

والسمع وسيلة لالتقاط الحقائق والمعارف، وقد يحيد بالإنسان إن استُعمل في سماع الباطل واللغو، ولهذا جاءت الآية تربي المسلم على انتقاء ما يسمع، فلا يستجيب لكل قول، ولا ينقل إلا ما تحقق من صحته، والبصر نافذة القلب والعقل، ومن أعظم مواطن الابتلاء، ولذا كان ضبطه أساسًا في تهذيب النفس وحفظها من الانحراف، وأما الفؤاد فهو مركز التفكير والتصديق والتكذيب، وهو الذي يوجّه سائر الجوارح، ومن ثمَّ فإن سلامته شرط في سلامة العمل، وانحرافه سبب في انحراف الجسد كله.

وتظهر هنا عظمة المنهج القرآني في ربط الجوارح بمسؤولية الفرد أمام الله تعالى؛ إذ لم يُترك للإنسان حرية مطلقة في تصريف حواسه، وإنما وُجّه إلى أن يكون سمعه وبصره وفؤاده تحت رقابة الإيمان والضمير، وهذا بدوره يثمر شخصية متزنة، تعي قيمة الكلمة والنظرة والخاطرة، فلا تنساق وراء الظنون والأوهام، ولا تشهد زورًا، ولا تتبع الباطل، وهكذا تتحقق التربية القرآنية للجوارح في أرقى صورها، حين تُضبط الحواس بالعلم والحق، ويصبح الإنسان

مسؤولًا عما يصدر عنها من قول أو فعل أو نية [١].

وكذلك في ذكر الجوارح في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٢٤ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ٢٥﴾ [النور: ٢٤-٢٥] فالآيات توضح أن الجوارح ليست مجرد أدوات يستعملها الإنسان في دنياه، بل هي شهود عدل عليه يوم القيامة، ينطقها الله بما اقترفت من أعمال، فتشهد العين بما نظرت، واللسان بما نطق، واليد بما بطشت، والرجل بما سعت إليه، وهذا المعنى يربي المسلم على أن يحيا في الدنيا وهو يستشعر أن جوارحه ستتحول إلى خصومه إذا أساء استخدامها، فلا يترك لها العنان في المعاصي، بل يضبطها بضوابط الشرع.

واللسان الذي قد يطلقه صاحبه في القذف أو نشر الفحش، سيكون شاهدًا عليه أمام الله، واليد التي يظن الإنسان أن إنكاره يغطي على آثارها ستنطق بما خطّت أو أبطشت، والرجل التي تمشي إلى المواطن المحرمة ستشهد بما سعت إليه، وهذا يرسخ في القلب الرقابة الإيمانية الدائمة، ويغلق أبواب الأعذار الواهية التي يتشبث بها الناس يوم القيامة، حيث لا ينفع الظالمين معذرتهم ولا تبريرهم.

ثم تأتي الآية التالية لتؤكد أن الجزاء الذي يوفيه الله للناس يوم القيامة إنما هو جزاء حق وعدل، قائم على ما كسبته الجوارح من أعمال، فيدرك الإنسان أن الله هو الحق المبين، الذي لا يخفى عليه خافية، وهذا الإقرار يزرع في قلب المسلم الوعي بأن أي انحراف لجوارحه لن يضيع، بل سيُسجَّل ويُجازى عليه بالعدل، فيزداد يقظةً على نفسه، وحذرًا في حركاته وسكناته، واستقامةً في توجيه جوارحه لما يرضي الله عز وجل [٢].

وقد ورد ذِكر أغلب هذه الجوارح في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تتمنى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ أو يُكَذِّبُهُ" [٣]، فهذا الحديث من أبلغ النصوص في تربية الجوارح وضبطها، إذ يكشف أن كل جارحة من جوارح

(١) ينظر: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، المحقق: حكمت بن بشير بن ياسين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – السعودية (٥/ ٧٤).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، إعداد: لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مراجعة: مصطفى محمد الحديدي الطير (ت ١٤٠٩ هـ)، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ - ١٤١٤ هـ) = (١٩٧٣ - ١٩٩٣ م) (٦/ ١٣٨٩).

(٣) صحيح البخاري – كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ، بَابُ زِنَا الْجَوَارِحِ دُونَ الْفَرْجِ، حديث رقم (٥٨٨٩)، (٥/ ص٢٣٠٤).

الإنسان لها نصيب من الزنا أو المعصية بحسب وظيفتها، وأنها قد تشارك في مقدماته وإن لم يقع الفعل الأكبر، ثم يوضح أن المرجع في النهاية إلى الفرج؛ فهو الذي يصدق ما قامت به الجوارح الأخرى أو يكذبه، والحديث يبرز جملة من المعاني التربوية العميقة في تهذيب الجوارح وضبطها:

أولًا: خطورة المقدمات: إذ أطلق على النظر واللمس والكلام اسم "الزنا" على سبيل المجاز، تنبيهًا إلى أن هذه الأفعال ليست أمورًا يسيرة، بل هي خطوات ممهدة للفاحشة، وضبطها يعد سدًا للذرائع وحصانة للعرض.

ثانيًا: تربية الرقابة على الحواس: حيث أوضح الحديث أن العين مسؤولة عما تنظر إليه، والأذن مسؤولة عما تسمع، واللسان عما ينطق، وكلها تُسجَّل عليها أعمالها، وهذا يغرس في المسلم مراقبة الله في تصرفات جوارحه، فلا يطلقها إلا فيما يرضيه.

ثالثًا: إدارة الميل الفطري: فقوله: "والنفس تشتهي وتمنى" يقرر أن الشهوة جزء من الفطرة، لكن المطلوب ضبطها وتوجيهها وفق الضوابط الشرعية، فليست الخطورة في وجود الشهوة، وإنما في الاستسلام لها بلا رادع.

رابعًا: سعة رحمة الله: إذ جعل الله اللمم وصغائر الهفوات مكفَّرة باجتناب الكبائر، مما يبعث على الأمل في مغفرة الله، مع التحذير من التساهل الذي يقود إلى الكبائر.

وبناء على ما سبق فالحديث يقدم تربية متوازنة للجوارح: فيغرس في العين غضّ البصر، وفي اللسان القول الحسن، وفي الأذن السمع الطيب، وفي القلب صفاء النية، وفي الفرج العفة والطهارة؛ ليبقى الإنسان نقي الجوارح، سليم القلب، عزيز الكرامة [(١)].

والجوارح التي يُبنى عليها صلاح الإنسان أو فساده يمكن حصرها في سبعة أعضاء أساسية، وقد دلت عليها النصوص الشرعية، وهي: العين، والأذن، واللسان، والبطن، واليد، والرجل، والفرج.

وهذه الأعضاء هي ميدان الابتلاء، ومنها يكون العطب أو النجاة، فمن ضبط جوارحه وصانها، فقد حفظ رأس ماله، وتمكّن بعد ذلك من تحصيل الربح بزيادة الطاعات والقربات، وأما من ضيّعها وأهمل مراقبتها، فقد عرّض نفسه للهلاك؛ إذ إن الجوارح إذا تُركت دون ضبط وقعت في الخيانة لا محالة، وحفظ هذه الأعضاء السبعة هو الأساس الذي تُبنى عليه

(١) ينظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ترقيم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية - مصر، الطبعة: الأولى، (١٣٨٠ - ١٣٩٠ هـ) (١١/ ٥٠٤).

الاستقامة كلها، وإهمالها هو أصل كل انحراف وشر، فالمؤمن مأمور أن يراقب جوارحه على الدوام، فإن غفل عنها ساعةً انفلتت إلى الخيانة، وإن استمر في الغفلة هلك بخسارة رأس ماله كله (١).

المطلب الثالث: علاقة الجوارح بالقلب

الجوارح ليست كيانات مستقلة في التأثر والتأثير؛ بل هي انعكاس لما في القلب من إيمان أو فساد، قال رسول الله ﷺ: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ (٢)، فالقلب هو المحرك الداخلي الذي يصوغ النيات ويحدد الاتجاهات، بينما الجوارح تمثل المترجم العملي الذي يُجسِّد هذه النيات في سلوك واقعي ملموس، وتربية الجوارح لا تنفك عن مراعاة القلب؛ إذ إن ضبط الأعضاء إنما هو ثمرة لصلاح الباطن، وإن صلاح القلب يصلح سائر الجسد، وبفساده يفسد، فإصلاح الظاهر رهين بإصلاح الباطن، وأن التربية الحقيقية تبدأ من الداخل لتنعكس على الخارج (٣).

وهذه العبارة البليغة لأبي يحيى الوراق "من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات" (٤)، تختصر منهجًا تربويًا عميقًا في فهم علاقة الجوارح بالقلب، وأثر الأعمال الظاهرة على الباطن، فالجوارح ـ كاللسان والعين والأذن واليد والرجل ـ ليست مجرد أدوات تنفيذية؛ بل هي منافذ تؤثر في القلب، فإذا أطلقها الإنسان في متابعة الشهوات بلا ضابط شرعي، انعكس ذلك فسادًا على قلبه، فتمتلئ النفس بالندم والهموم، إذ إن المعصية وإن بدت لذّة عاجلة فهي تخلّف وراءها ألماً في الباطن وحجابًا بين العبد وربه، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]، فالآية بيّنت أن القلب

---

(١) ينظر: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، حققه: محمد عزير شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، راجعه: سليمان بن عبد الله العمير ـ محمد أجمل الإصلاحي، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الثالثة، ١٤٤٠ هـ ـ ٢٠١٩ م (١/ ١٣٦).

(٢) ينظر: صحيح البخاري – كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم (٥٢)، (١/ ص٢٩)، وصحيح مسلم – كتاب البيوع، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم (١٥٩٩)، (٥/ ص٥١).

(٣) ينظر: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ (١١/ ٢٧).

(٤) ينظر: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة ـ بيروت، بدون تاريخ نشر (٣/ ٦٦).

إذا استسلم للهوى، انعكست هذه الهيمنة على السمع والبصر، ففقدا وظيفتهما الهداية، وهو ما يبرهن أن فساد القلب يعطل الجوارح، كما أن انحراف الجوارح يرسّخ فساد القلب.

وقد فسّر العلماء هذه الآية بقولهم: إن من جعل هواه إلهه أطاعه كما يُطاع الإله، فلا يهوى شيئًا إلا تبعه، حتى صار أسير شهواته لا يلتفت إلى ما يحبه الله ويرضاه، ومن هنا جاء التحذير في مطلع الآية باعتبار هذا المسلك موجبًا للخذلان والطبع على القلب والسمع والبصر، كما قال سبحانه في موضع آخر: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [البقرة: ٧] (١).

كما أن هناك علاقة وثيقة بين إصلاح الظاهر وإصلاح الباطن؛ إذ إن الظاهر مرآة للباطن، وما في القلب ينعكس أثره على الجوارح، والعكس صحيح؛ فإهمال ضبط الجوارح يؤدي إلى فساد القلوب، كما أن صلاح القلوب يستدعي صلاح الظاهر، وقد جاء الشرع بتأكيد هذا المعنى في مواطن عديدة، ومن أوضحها قول النبي ﷺ: "لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُم" (٢)، فاختلال هيئة الظاهر في الصلاة من اعوجاج الصفوف وعدم تسويتها يؤدي إلى اختلال القلوب وتنافرها، فالظاهر هنا مؤثر في الباطن، وضبط الظاهر يعين على صفاء الباطن، وفي الحديث دلالة على أن تسوية الصفوف من تمام الصلاة، وأن مخالفتها سبب لاختلاف القلوب، وهذا يبين أن الشريعة لا تفصل بين الظاهر والباطن، بل تجعلهما متلازمين، فلا يُتصوَّر قلب صالح مع جوارح فاسدة، ولا جوارح منقادة للشرع مع قلب غافل أو مريض (٣).

المطلب الرابع: أهمية تربية الجوارح في الإسلام

لقد أودع الله تعالى في كل مخلوق ما يعينه على الدفاع عن نفسه والبقاء؛ فجعل للحيوانات أعضاء خاصة تُمكّنها من دفع العدوان الطبيعي عنها، كالقرون والمخالب والبشرات

(١) ينظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر (دمشق – سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م (٢٥/ ٢٧٦).

(٢) ينظر: صحيح البخاري – كتاب الجماعة والإمامة، باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها، حديث رقم (٦٨٥)، (١/ ص٢٥٣)، والجامع الصحيح «صحيح مسلم»، المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، المحققون: محمد ذهني أفندي، إسماعيل بن عبد الحميد الحافظ الطرابلسي، أحمد رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري، محمد عزت بن عثمان الزعفرانبوليوي، أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، دار الطباعة العامرة - تركيا، ١٣٣٤هـ – كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، حديث رقم (٤٣٦)، (٢/ ص٣١).

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٢/ ٢٠٧).

الصلبة، أمّا الإنسان؛ فقد عُوّض عن هذه الأدوات الطبيعية بعطيّتين عظيمتين: الفكر والجوارح، فبالتفكير يُبدع الوسائل، وبالجوارح يُنفّذها، فكان بذلك مهيّأً للصنائع والابتكار.

ومن خلال الصنائع صنع الإنسان أدواته التي قامت مقام الجوارح الحيوانية، فكانت الرماح بديلاً عن القرون، والسيوف عن المخالب، والدروع عن الجلود القاسية، وهكذا يتبين أن فضل الجوارح عند الإنسان ليس في قوتها الطبيعية مقارنة بالحيوان، بل في أنها مهيأة لخدمة العقل والإبداع، ومعتمدة على روح التعاون بين البشر. ومن هنا تتجلّى حكمة الخالق في تمييز الإنسان عن سائر المخلوقات، وتمكينه من عمارة الأرض وحمل رسالة الاستخلاف (١).

وتُعَدّ الجوارح من أهم مكونات الكيان الإنساني، إذ بها يظهر سلوك الإنسان، ويترجم باطنه إلى واقع عملي، وقد أولى الإسلام عناية بالغة بتربية الجوارح، فجعل حفظها وضبطها طريقًا إلى النجاة، وإهمالها سببًا للهلاك، وإن تربية الجوارح السبعة تمثل جوهر التربية الإسلامية، فهي التي تحفظ رأس مال المسلم، وتمكّنه من السير في طريق الاستقامة، فمن ضبط بصره وسمعه ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه، فقد حقق معنى العبودية لله، ونال وعده بالنجاة في الدنيا والآخرة.

ومن الشواهد البارزة التي تُظهر أثر الإيمان على الفرد وجوارحه، وكذلك على المجتمع بأسره، ما ورد عن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حينما سأله النجاشي ملك الحبشة عن سبب هجرتهم إليها ومفارقتهم لدين قومهم، فأجابه قائلاً: "أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك" فهذا يبين كيف أن عدم الإيمان ينحدر بسلوكيات الجوارح إلى أسوأ ما يكون، ثم قال رضي الله عنه: "حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نحن نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه، وآمنا به،

(١) ينظر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م (١/ ٥٥).

واتبعناه على ما جاء به" [١] فهذا يبين كيف أثر الإيمان والتقوى والالتزام بشرائع الإسلام في تهذيب الجوارح وبعدها عن الفحشاء والمنكر.

وإنّ جسد ابن آدم يتكوّن من ثلاثة أركان أساسية: القلب، واللسان، والجوارح، وقد شرّف الله تعالى كل جزء منها بكرامةٍ تليق به، فكرَّم القلب بالمعرفة والتوحيد والإيمان، وكرَّم اللسان بالنطق بالشهادة وتلاوة كتابه، وكرَّم الجوارح بالقيام بالطاعات من صلاة وصوم وسائر أعمال البر، وجعل سبحانه على كل جزء رقيبًا وحفيظًا؛ فالقلب لا يطّلع على ما فيه من سرائر إلا الله جلّ وعلا، واللسان يتولّى مراقبته الحفظة الذين يسجّلون ما يلفظ من قول، أما الجوارح فقد سُلِّط عليها الأمر والنهي، فهي مناط التكليف وميدان الامتحان.

ولكل جزءٍ من هذه الأجزاء وفاءٌ خاص به؛ فوفاء القلب أن يثبت على الإيمان الخالص، بعيدًا عن الحسد والخيانة والمكر، ووفاء اللسان أن يُصان عن الغيبة والكذب والكلام بما لا يعني صاحبه، ووفاء الجوارح أن تُحفظ عن معصية الله تعالى وأذية المسلمين، ومن قصّر في وفاء قلبه فقد وقع في النفاق، ومن قصّر في وفاء لسانه وقع في الكفر، ومن قصّر في وفاء جوارحه وقع في العصيان [٢].

المبحث الثاني: تحليل أبعاد تربية الجوارح في الإسلام

تربية الجوارح لها مكانة مركزية في الفكر الإسلامي، إذ تمثل الجوارح ميدان التطبيق العملي للإيمان، ومحلّ ظهور الطاعة أو المعصية، وقد قرن القرآن الكريم بين الإيمان والعمل الصالح في مواضع عديدة، ليؤكد أن صلاح الباطن لا بد أن يثمر صلاح الظاهر.

ومن هنا كان الاهتمام بتربية الجوارح في الإسلام مكوّنًا أساسيا في بناء الشخصية المؤمنة، فهي حلقة الوصل بين التصور العقدي والشعور الإيماني من جهة، والسلوك العملي من جهة أخرى، وفيما يلي ثلاث مطالب تبين تجليات تربية النفس بوصفها جدارة إسلامية في أبعادها الثلاثة: التصور والشعور والممارسة.

(١)الإمام أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، حققه: شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨ هـ) – عادل مرشد – وآخرون، بإشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، مسند عثمان بن عفان رضي الله عنه، حديث رقم (١٣٢٠)، (٣/ ٢٦٦).

(٢) ينظر: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي: تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، حققه: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م (ص٢١٨).

المطلب الأول: تحليل البعد المعرفي لتربية الجوارح

إنّ التربية الإسلامية لا تنظر إلى الإنسان بوصفه عقلًا مجردًا أو روحًا خالصة، بل كيانًا متكاملًا يجمع بين العقل والشعور والجوارح، والجوارح هي الوسائل التنفيذية التي تعبّر عن إيمان القلب وتصوّرات العقل، وبها يتحقق الامتثال أو يقع الانحراف، والجوارح أمانة عند الإنسان، وأنها ستشهد عليه يوم القيامة بما قدمت من خير أو شر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، فالآية تجعل الجوارح نفسها شاهدة على صاحبها يوم القيامة، فلا يستطيع الإنسان إنكارًا ولا دفعًا، فتشهد الألسنة: بما نطقت به من قذف وغيبة وكذب وبهتان، وتشهد الأيدي والأرجل: بما اكتسبته من أعمال، فالآية تؤكد أن الجوارح أمانة، وما يفعله الإنسان بها سيعود عليه يوم القيامة شاهدًا إما له أو عليه [١].

غير أنّ هذه التربية لا تقتصر على التوجيه السلوكي المباشر، بل تنطلق من بعد معرفي راسخ، يرسخ قواعد الوعي ويضبط الإدراك، ليقود في النهاية إلى حسن الممارسة، وسنحاول هنا تحليل هذا البعد المعرفي من خلال النقاط التالية:

- استيعاب مبدأ المسؤولية والمحاسبة

القرآن الكريم يقرر بوضوح أن الجوارح مسؤولة أمام الله، وأنها ستنطق وتشهد يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٢٤﴾ [النور: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٢٠﴾ [فصلت: ٢٠]، فالقرآن الكريم صوّر مشهدًا عظيمًا يوم القيامة، حيث تتحول الجوارح من أدوات تنفيذ في الدنيا إلى شهود عدل على صاحبها، فالإنسان يُحاصَر يوم القيامة بشهادات ذاته قبل شهادات غيره، وحين يستنكر الكفار قائلين: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١]، تجيب الجوارح بلسان الحق: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١] لتقطع دابر الحجة، وتثبت أن الذي أوجد الحياة من العدم قادر على إعادة الإنطاق والإحياء متى شاء.

وجاءت السنة مؤكدة لهذا المعنى في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: « كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَضَحِكَ فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟. قَالَ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ:

(١) ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م (١٢/ ٢١٠).

مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟. قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي. قَالَ فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي. قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ. قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ. قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ" [(١)]، وهذا المشهد يكشف عن كمال عدل الله عز وجل، إذ يجعل شهادة الجوارح ـ وهي من ذات الإنسان ـ أبلغ حجة عليه من أي شهادة أخرى، فلا يبقى له مجال للجدال أو الإنكار.

إن هذا التصور القرآني والنبوي يبرز البعد التربوي العميق في علاقة المسلم بجوارحه؛ فهي ليست ملكًا مطلقًا له، بل أمانة سيُسأل عنها، وشهود سيتحدثون يوم القيامة بما فُوِّض إليهم ، فتربية الجوارح وحراستها من الانحراف تشكّل أساسًا في بناء الشخصية الإيمانية المتوازنة [(٢)].

- إدراك أثر المعرفة على تهذيب السلوك

للمعرفة أعظم الأثر في تهذيب السلوك في التربوية الإسلامية؛ إذ لا قيمة لعلمٍ لا يثمر عملاً، ولا لثقافةٍ لا تصنع سلوكًا، فالمعرفة في التصور الإسلامي ليست مجرد تصورات نظرية، بل لها أثر عملي مباشر في تربية الإنسان وضبط جوارحه، وإذا علم المسلم خطورة إطلاق البصر أو اللسان تهيأ لمجاهدة نفسه وكفّ جوارحه، وإذا علم فضل استعمال الجوارح في الطاعة اندفع إليها بمحبة وشوق، وقد ضرب الله تعالى مثلاً قبيحًا لمن أوتي العلم ولم يعمل به، فقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]، فقد ضرب الله تعالى مثلًا بليغًا لليهود الذين حُمِّلوا التوراة وأُلزموا العمل بما فيها، ثم أعرضوا عن مقتضاها ولم يؤدوا حقها، فهم كُلِّفوا بالعمل بأحكامها، غير أنهم لم يعملوا بمقتضاها ولم ينتفعوا بما فيها من الهداية، فشُبِّهوا بالحمار الذي يحمل كتبًا لا يعقل ما تحويه ولا يفقه ما تضمنته من العلم، فالآية الكريمة تكشف عن قبح حال من أوتي علمًا فلم يعمل به، إذ لا فرق بينه وبين بهيمةٍ تحمل الكتب دون وعي أو فهم [(٣)].

وإنما المقصود بالعلم النافع هو العلم الذي يورث صاحبه خشيةً لله تعالى وقربًا منه، قال

(١) صحيح مسلم – كتاب الزهد والرقائق، حديث رقم (٢٩٦٩)، (٨/ ص٢١٧).
(٢) ينظر: تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٣٥٠).
(٣) ينظر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ (٤/ ٢٨١).

سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، أما العلم الذي يزيد الإنسان قسوةً وجحودًا وبُعدًا عن طاعة الله ورسوله، فإنه يكون وبالًا وحسرةً على صاحبه يوم القيامة، ولذا استعاذ النبي ﷺ منه فقال: "اللهمَّ إني أعوذُ بكَ مِن الأربع: مِن عِلْم لا يَنفَعُ، ومِن قلبٍ لا يخشَعُ، ومِن نَفسٍ لاتَشبَعُ، ومِن دُعاءٍ لا يُسمَعُ" (١)، وهكذا يظهر أن البعد المعرفي شرطٌ أساس لبناء العادة السلوكية؛ فالمعرفة الواعية تتحول إلى قناعة، والقناعة تتحول إلى التزام عملي.

ومما يبيّن خطورة الانفصام بين العلم والعمل، ما ورد في الأثر: "مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه" (٢)، فهذا التصوير البليغ يُظهر أن وظيفة العلم ليست مجرد التوجيه النظري، بل لا بد أن ينعكس أثره على الجوارح سلوكًا والتزامًا، ولو أن العالم إذا اقتصر على الوعظ والتعليم دون أن يزكّي جوارحه بالعمل بما يقول، صار عِلمه حجةً عليه لا له، وكان كالسراج الذي يبدد الظلمة للآخرين بينما يحرق ذاته، ومن هنا كانت تربية الجوارح فرعًا مباشرًا عن صلاح القلب والعقل، إذ لا قيمة لعلمٍ لا يتحول إلى طاعة عملية، ولا ثمر لمعارف لا تضبط البصر واللسان واليد وسائر الأعضاء وفق مراد الله تعالى.

المطلب الثاني: تحليل البعد الوجداني لتربية الجوارح

يتجلى البعد الوجداني الشعوري في تربية الجوارح في استحضار معاني المراقبة والخشية، وهذا يجعل المسلم يضبط جوارحه لا لمجرد الالتزام الظاهري، وإنما بدافع وجداني عميق قائم على مراقبة الله وحضوره في قلبه، فاللسان مثلًا يُربّى على الصدق والذكر وترك الغيبة والكذب، واليد تُربّى على العطاء والإحسان وترك البطش والعدوان، والعين تُربّى على غض البصر عن الحرام، وكل ذلك بدافع شعوري يُغذي الوعي ويهذب السلوك.

وتربية الجوارح لا تقف عند حدود الضبط الظاهري للحركات والسكنات، بل تتجاوزها إلى بناء البعد الوجداني الذي يشكّل مركزًا داخليًا للتوجيه والرقابة الذاتية، ويتبين هذا من خلال النقاط التالية:

(١)أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني: سنن أبي داود، المحقق: شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨هـ) ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، أبواب فضائل القرآن، باب في الاستعاذة، حديث رقم (١٥٤٩)، (٢/ ص٦٤٧).

(٢) ينظر: الخطيب البغدادي: اقتضاء العلم العمل، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م (ص٤٩).

- **خشية الله أساس لتربية الجوارح**

الخوف من الله عز وجل شعور وجداني عميق، يثمر ضبط الجوارح عن المعاصي، ويقودها إلى الطاعات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، فالخشية وليدة العلم والمعرفة، ولكنها ثمرة وجدانية تستقر في القلب فتقوّم حركة الجوارح، وقد قال ﷺ: "من خافَ أدْلَجَ، ومن أدْلَجَ بَلغَ المَنْزِلَ، ألا إنَّ سِلْعةَ اللهِ غاليةٌ، ألا إنَّ سِلْعةَ اللهِ الجَنَّة" (١)، فالمسافر إذا خاف أن يفوته الوصول إلى مقصده (أدلج) أي: سار من أول الليل ليضمن بلوغ غايته في الوقت المناسب، وهكذا المؤمن في طريقه إلى الآخرة، إذا خاف أن يضيع عمره في اللهو والتقصير بادر إلى الطاعات وشمّر عن ساعد الجدّ، ليضمن الوصول إلى رضوان الله والفوز بجنّته، ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله: "المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن" (٢)، فالمؤمن الحق لا يغتر بعمله، وإنما يعيش بين الخوف والرجاء، يردع نفسه بالخشية، ويقوّم جوارحه بالطاعة، فيكون بذلك أقرب إلى الفوز برحمة الله ونعيمه.

والخشية أخص من الخوف، فهي خوفٌ ممزوجٌ بالمعرفة، ولهذا كانت من نصيب العلماء بالله تعالى، وقد صرّح النبي ﷺ ببيان منزلته في هذا المقام فقال: "فَوَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً" (٣)، فبينما يكون الخوف مجرد انفعال يبعث على الحركة والهرب من مصدر التهديد، تكون الخشية حالًا أعمق؛ إذ تصحبها معرفة وإدراك لعظمة الله، فتورث انكسارًا وسكونًا وانقباضًا يردع صاحبه عن المعصية ويثبّته على الطاعة.

ولهذا شبّه العلماء حال الخائف بمن يرى العدو أو السيل فيندفع هاربًا منه، وحال الخاشي بمن يلوذ بمكان حصين لا يصل إليه فيه أذى، فيثبت ساكنًا مطمئنًا، فالخوف حركة، أما الخشية فهي قرار وانجماع، وهذا ما يفسّر سرّ ارتباطها بالعلم بالله؛ إذ المعرفة تورث المهابة، والمهابة تُثمر التواضع والوقوف عند حدود الله، وتربية الجوارح تربية مبينة على انبعاث

(١) سنن الترمذي – أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حديث رقم (٢٦١٨)، (٤/ ص٤٤٤).
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٦٥).
(٣) صحيح البخاري – كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع، حديث رقم (٦٨٧١)، (٦/ ص٢٦٦٢).

وجداني عميق [١].

- **المحبة والأنس بالله دافع لتهذيب الجوارح**

المحبّة الصادقة لله تظهر آثارها على القلب والجوارح، فالمحبة في حقيقتها ليست مجرد دعوى باللسان، بل هي شجرة طيبة تمتد جذورها في القلب، وتثمر على الجوارح بالعبادة والطاعة والتضحية في سبيل الله [٢].

والمؤمن إذا أحب ربه، أحبّ أن يراه حيث أمره، وأبغض أن يراه حيث نهاه، قال رسول الله ﷺ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ" [٣]، فهذا الحديث يبين أن حقيقة المحبة ليست مجرد دعوى باللسان، بل هي أثر عميق يزكي الجوارح ويهذبها، حتى تصبح مشاعر القلب وميول النفس خاضعة لحكم الإيمان، فالمؤمن الذي أحب الله ورسوله حقاً يوجه بصره وسمعه ولسانه ويده ورجله إلى ما يرضي الله، فلا يطلق جوارحه في معصية، ولا يبيع دينه بعرض زائل، وهكذا تُصبح المحبة سياجاً داخلياً يربط بين القلب والجوارح، فتتربى الأعضاء على الطاعة، وتستقيم السلوكيات مع ما يمليه الإيمان الصادق [٤].

وقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فالمؤمنون أشد حبًا لله، لأن محبتهم صافية قائمة على المعرفة واليقين، بخلاف محبة المشركين المبنية على الوهم والباطل، والمحبة الصادقة لله هي التي تملك على المؤمن قلبه، حتى تصرف جوارحه كلها في طاعته، فيغدو قلبه معلقًا بالله، ولسانه ذاكرًا له، وعينه باكية من خشيته، ويده عاملة في سبيله، ورجله سائرة إلى مرضاته، فالمحبة شعورًا قلبيًا صار دافع حاكما لحياة الإنسان كلها [٥].

- **الحياء مرتكز لضبط الجوارح**

---

(١) ينظر: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م (١/ ٥٠٨).

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٣٣٠).

(٣) صحيح البخاري – كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم (١٦)، (١/ ص١٤)، وصحيح مسلم – كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، حديث رقم (٤٣)، (١/ ص٤٨).

(٤) ينظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ١٣).

(٥) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (١/ ١٣٠).

يُعدّ الحياء من أجلّ الأخلاق التي جاء بها الإسلام، وهو قرين الإيمان ودليل على حياة القلب وصفاء الضمير، حتى قال النبي ﷺ: "الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ" (١)، غير أن الحياء في التصور الإسلامي ليس مجرد خُلُق اجتماعي أو حالة انفعالية عابرة، بل هو مرتكز إيماني عميق يُهذّب النفس ويضبط سلوك الجوارح، فيحول دون انحرافها، ويوجهها إلى الطاعة والالتزام.

وقد دلّ على ذلك حديث النبي ﷺ الذي رسم فيه معالم الحياء الحق، وربطه بحفظ الرأس والبطن وسائر الجوارح، وتذكّر الآخرة، والزهد في زخارف الدنيا، فقال ﷺ: "اسْتَحْيُوا من اللهِ حَقّ الحياءِ، قلنا: يا رسولَ اللهِ، إنّا نَسْتَحْيي والحمدُ للهِ، قال: ليسَ ذاكَ، ولكنّ الاسْتِحْياءَ من اللهِ حَقَّ الحَياءِ: أنْ تَحفظَ الرّأْسَ وما وَعَى، وتحفظ البطْنَ وما حَوَى، ولتذكر المَوْتَ والبِلى، ومن أرَادَ الآخِرةَ تَركَ زينةَ الدُّنْيا، فَمنْ فعلَ ذلك، فقد اسْتحْيا يعني من اللهِ حقَّ الحَياءِ (٢).

فالحياء هنا حالة إيمانية شاملة تنعكس على كل جوارح الإنسان، لذلك قال ﷺ: "ليس ذاك" أي: ليس الحياء الحق مجرد شعور في القلب أو خجل في الموقف، وإنما هو التزام عملي يضبط الجوارح كلها، و(حفظ الرأس وما وعى): يشمل حفظ السمع والبصر واللسان والفكر من الوقوع في المعاصي، و(حفظ البطن وما حوى): أي صونه من إدخال الحرام، سواء في الطعام أو الشراب، أو ما يترتب على ذلك من الحرام كالكسب غير المشروع، أو حتى الإشباع المفرط الذي يقسي القلب ويضعف الإرادة، و(تذكر الموت والبِلى): وهو أعظم باعث على تهذيب النفس، إذ يستحضر العبد أن الجسد الذي قد يطلق لشهواته العنان سيصير يومًا إلى التراب. فمن فعل ذلك، كما قال ﷺ، "فقد استحيا من الله حق الحياء"، إذن فالحياء ليس مجرد شعور داخلي، بل هو قوة ضابطة للجوارح، تحفظ الرأس والبطن وسائر الأعضاء، وتردعها عن المعصية، وتوجهها نحو الطاعة، ليبقى العبد حيّ الضمير، نقيّ السلوك، حاضر القلب مع ربه (٣).

- **الصبر والمجاهدة في كبح الشهوات وضبط الجوارح**

(١) صحيح البخاري – كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، حديث رقم (٩)، (١/ ص١٣)، وصحيح مسلم – كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، حديث رقم (٣٥)، (١/ ص٤٦).

(٢)نجم الدين محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي: سنن الترمذي – أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حديث رقم (٢٦٢٧)، (٤/ ص٤٥٠).

(٣) ينظر: حسن التنبه لما ورد في التشبه، ، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م (٢/ ٣٥٤).

الصبر والمجاهدة في كبح الشهوات أساسٌ لضبط الجوارح؛ إذ إن النفس بطبعها ميّالة إلى الهوى، ولا يستقيم ظاهر الإنسان حتى يُروَّض باطنه بالصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، والمجاهدة الدائمة في مقاومة نزواتها.

والقدرة على مجاهدة النفس وكبح نزواتها، وهو ما ينعكس على ضبط الجوارح أمام المغريات، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ٤١ ﴾ [النازعات: ٤٠–٤١]، فمن خاف مقامه بين يدي الله جل جلاله يوم القيامة، فزجر نفسه عن هواها الباطل الذي يدفعها إلى اقتراف المعاصي بحكم الجِبِلّة، ولم يُغْرِهِ متاع الحياة الدنيا وزينتها الفانية، عالمًا بسوء عاقبتها، وضبط جوارحه على الحق ابتغاء مرضات الله؛ كان مأواه الجنة، وسمّي الهوى بذلك لأنه يُسقِط صاحبه في الدنيا إلى كل هلكة، وفي الآخرة إلى الهاوية، ولذلك مُدِح مخالفته (١).

ومخالفة الهوى ليست مجرد ترك شهوةٍ عارضة، بل هي مقام رفيع يُقيم العبد بين يدي الله في مرتبة عظيمة، فمن خالف هواه أقامه الله مقام من لو أقسم عليه لأبرّه، فيقضي له من الحوائج أضعاف ما فاته من شهواته، فهو كمن رغب عن بعرة فأُعطي عوضها دُرّة، وأما متّبع الهوى، فإنه وإن نال لحظة لذّة، يفوته من مصالح دنياه وآخرته ومن طمأنينة قلبه وسعادة جوارحه ما لا نسبة له بما حصّله من لذة عابرة.

وانظر إلى يوسف الصديق كيف أنه لما كفّ يده ولسانه ونفسه بعد أن قبض شهوته عن الحرام، فخرج من السجن مكرّمًا ممكّنًا، وقد عوّضه الله عن كبح شهوته بالعز والتمكين في الأرض، فمجاهدة النفس إذن هي أصل ضبط الجوارح، ومفتاح صلاحها، وبها ينال العبد عزّ الدنيا وفوز الآخرة (٢).

ويتضح مما سبق أن البعد الوجداني لتربية الجوارح يشكل الضابط الداخلي الذي يوجّه الجوارح نحو الطاعة ويكفها عن المعصية، وبذلك تتكامل المعرفة والوجدان والسلوك في صياغة شخصية المسلم، فيغدو العلم محركًا، والوجدان دافعًا، والجوارح أداةً لتحقيق العبودية لله في الواقع.

المطلب الثالث: تحليل البعد العملي لتربية الجوارح

(١) ينظر: التفسير الوسيط - مجمع البحوث (١٠/ ١٧٧٧).
(٢) ينظر: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، حققه: محمد عزير شمس، راجعه: سليمان بن عبد الله العمير ومحمد أجمل الإصلاحي، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الرابعة، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م (ص٦٤٧).

تربية الجوارح لا تكتمل إلا بالممارسة العملية، حيث تُترجم التصورات والشعور إلى سلوك يومي، وقد جعل الإسلام من العبادات الكبرى وسائل عملية لتربية الجوارح، فالصلاة تدريب يومي على ضبط الأعضاء عن الحركة الباطلة والخضوع لله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، والصيام تدريب عملي على كفّ الجوارح عن الشهوات، قال النبي ﷺ: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَه" (١)، والزكاة والحج كذلك يمثلان مجالًا عمليًا لتربية الجوارح على العطاء وضبط النفس والتزام النظام.

وقد حرص الإسلام على تهذيب النفس وتربية كل الجوارح، إذ لم يقتصر توجيهه على الجانب العقدي أو المعرفي فحسب، بل امتد ليشمل ضبط السلوكيات الظاهرة التي تصدر عن الحواس والجوارح كلها؛ من سمع وبصر ولسان ويد ورجل، ومن خلال ما يلي تتبين مظاهر تربية الجوارح في الإسلام:

- أولا: تربية العين:

العين من أعظم نعم الله على الإنسان، فهي نافذته إلى العالم الخارجي، ومن خلالها يتأمل آيات الله في الخلق ويستدل على عظمته، ولكن هذه النعمة قد تكون مدخلًا للفتنة إذا لم تُضبط بضوابط الشرع؛ ولذا جاءت نصوص الوحي لتربي العين وتوجهها الوجهة الصحيحة. قال تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾ [النور: ٣٠-٣١]، فهذا الأمر الإلهي للرجال والنساء يتضمن تهذيبًا دقيقًا للنفس وتربيةً للجوارح، إذ يربط بين عمل العين والقلب، فالنظر باب واسع إلى الشهوات، ومن هنا جاء الحث على ضبطه ليبقى القلب نقيًا والبصيرة صافية (٢).

وغضّ البصر وسيلة لحماية القلب من التلوث بالشهوات، وهو أساس تزكية النفس وتهذيب السلوك. كما أكّد النبي ﷺ على خطورة النظرة المحرمة، فقال لعليٍّ: "يا عليُّ، لا تُتْبِعِ

(١) صحيح البخاري – كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، حديث رقم (١٨٠٤)، (٢/ ص٦٧٣).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٥٢٣).

النظرةَ النظرةَ، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة" [١] فالعين ليست مجرد عضو حسي، بل هي أداة تربوية عميقة الأثر في تشكيل الوجدان وضبط السلوك؛ إذ إن ما يدخل منها إلى القلب يؤثر مباشرة على نقائه أو انحرافه، ولهذا جاء التحذير القرآني شاملًا للسمع والبصر والفؤاد، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، فالآية تنهى عن اتباع ما لا يستند إلى يقين أو علم، سواء كان قولًا أو فعلًا أو اعتقادًا، لتجعل معيار السلوك قائمًا على الدليل واليقين لا على الظنون والتخرصات، ثم جاء ختم الآية ببيان أن السمع والبصر والفؤاد، وهي أبرز أدوات المعرفة والإدراك، كلها مسؤول عنها العبد يوم القيامة، والمعنى: أن كل جارحة من هذه الجوارح ستكون شاهدة على صاحبها، ومسؤولة عما استعملها فيه [٢].

- **ثانيا: تربية الأذن:**

الأذن هي بوابة السمع والإدراك، ومن خلالها يتلقى الإنسان العلم والوحي والمواعظ. وقد امتنّ الله تعالى علينا بهذه النعمة العظيمة فقال: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، ذكر سبحانه من جملة نعمه على عباده أنه أخرجهم من بطون أمهاتهم أطفالًا لا علم لهم بشيء، وبهذا يبين الله تعالى ضعف الإنسان عند ولادته، وأنه يولد خاليًا من كل معرفة، ثم يتدرج في التعلم والتلقي بما وهبه الله من الجوارح، فجعل السمع وسيلة لسماع الأمر والنهي، والأبصار أداة لمشاهدة آثار صنعه في الكون، والأفئدة موضع الإدراك والتعقل الموصِل إلى معرفته [٣].

وجعل السمع أسبق الحواس في الذكر لأنه أول ما يعمل من الحواس بعد الولادة، وهو أوسع أبواب المعرفة، ومن هنا كان ضبط الأذن وحفظها من سماع الباطل أصلًا في تربية الجوارح وصيانة القلب، ولقد حذّر الله تعالى من الإصغاء إلى الباطل، فقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]، فقد شدّد القرآن على خطورة مجالسة أهل الباطل والاستماع إليهم حين يُكفَر بآيات الله

(١) سنن أبي داود – كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر، حديث رقم (٢١٤٨)، (٣/ ص٤٨١).

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢٤).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي – الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١٥١).

ويُستهزأ بها، لأن مجرد الجلوس مع القوم على ما هم فيه معناه نوع مشاركة قلبية ورضًا باطنيًّا يُترجم إلى صورة عملية بسكون الجوارح وعدم مفارقة المجلس، فجاء التحذير الصريح: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] فيجب القيام عن المجلس، والإعراض عن مجالسة الساخرين، بل وتوجيه سمعه وبصره وأركانه بعيدًا عن مقامات المعصية (١).

ولهذا كان من أدب المسلم أن يختار ما يسمع، فيُصغي لكتاب الله وسنة رسوله، ويستمع للذكر والعلم النافع، ويتجنب الغيبة والنميمة وأحاديث الفحش واللهو، لأن ما يدخل إلى القلب عبر الأذن يرسخ فيه أثرًا قد يرفعه أو يضعه.

- ثالثا: تربية اللسان:

يُعدّ اللسان أخطر الجوارح وأعظمها أثرًا في حياة الإنسان؛ إذ هو أداة البيان ومفتاح الخير أو الشر، ومن خلاله تُبنى المواقف وتُهدم، وتُعقد العهود وتُفض، وقد ترتفع كلمةٌ بصاحبها إلى مراتب عالية أو تهوي به إلى دركات الهلاك، ولذا كان التحذير النبوي واضحًا في قوله ﷺ" وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَارِ على وُجُوهِهم – أو على مَناخِرِهم – إلَّا حَصائِدُ ألسِنَتِهم" (٢)، فاللسان حصاد للقلب، ومقياس لما يختزنه الضمير من نيات وإرادات. وقد أمر الله تعالى بحسن القول فقال: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، حيث يوجّه الله تعالى المؤمنين إلى انتقاء أجمل الألفاظ وأحسن الأساليب في حوارهم مع المشركين وأهل الكتاب وغيرهم، على أن تكون الكلمة الطيبة خالية من السباب والشتائم والأذى، وأن يُراعى فيها جانب الحكمة والإقناع (٣).

ومن هنا تأتي أهمية تربية اللسان وضبطه بالصدق والذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع اجتناب الكذب والغيبة واللغو والفحش، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، وتربية اللسان ليست مسألة شكلية أو خطابية

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤٠).
(٢) ينظر: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي: الجامع الكبير «سنن الترمذي»، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م - أبواب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث رقم (٢٨٠٥)، (٤/ ص٥٦٨)، وانظر أيضًا: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني: سنن ابن ماجه، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م - أبواب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث رقم (٣٩٧٣)، (٥/ ص١١٧).
(٣) ينظر: التفسير المنير - الزحيلي (١٥/ ٩٩).

فحسب، بل هي تربية وجدانية عميقة، لأنها تعكس صدق القلب وسلامته، وتربط الجوارح كلّها بمنهج التقوى، فيكون اللسان شاهدًا على طهارة النفس ورقيّها، أو العكس دليلًا على فسادها وانحرافها.

- رابعا: تربية البطن:

يُعدّ البطن محلًّا لتناول الطعام والشراب، ومن ثَمّ فإنّ تربيته تعني ضبط هذه الشهوة بما يوافق الحلال واجتناب الحرام، إذ يرتبط صفاء القلب وصلاح الجوارح بما يدخل جوف الإنسان، وقد حذّر النبي ﷺ من خطورة أكل الحرام، فقال: "إنَّه لا يَرْبو لَحْمٌ نَبَتَ من سُحْتٍ إلَّا كانتِ النَّارُ أوْلَى به" (١)، ومن هنا كان ضبط شهوة البطن أساسًا في تزكية النفس، إذ يُعدّ الانحراف في هذا الباب من أعظم أبواب الفساد والانحراف الأخلاقي.

ويُشير القرآن إلى خطورة أكل المال الحرام؛ خاصة إن كان لأيتام قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠]، فهم يأكلون ما يؤول بهم إلى النار، وأنهم يُجازَون في الآخرة بأكل النار حقيقةً، فشهوة البطن من أعظم أبواب الانحراف إن تُركت دون ضابط، ومن هنا جاءت التربية القرآنية لتدعو المسلم إلى القناعة، والاعتدال في المأكل والمشرب، والابتعاد عن أكل الحرام والمال المشبوه، إدراكًا بأن البطن وسيلة للعبادة لا غاية للمتعة، وبذلك يسمو الإنسان على غرائزه ويُهذّب وجدانه (٢).

وقد قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ" (٣)، فالحديث يتناول أصلًا عظيمًا من أصول الدين، وهو أن الله عز وجل طيب لا يقبل إلا طيبًا؛ فالله سبحانه وتعالى مُنزّه عن كل نقص، ويحب كل ما هو طيب من الأقوال والأفعال والأموال، وهذا الربط القرآني في الآيتين بين الأكل من الطيبات والعمل الصالح يؤكد أن صلاح العمل وقبوله مرتبط

(١) سنن الترمذي – أبواب السفر، باب ما ذكر في فضل الصلاة، حديث رقم (٦١٨)، (٢/ ص١٤٩).
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤)، والتفسير الوسيط - مجمع البحوث (٢/ ٧٦١).
(٣) ينظر: صحيح مسلم – كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حديث رقم (١٠١٥)، (٣/ ص٨٥).

ارتباطًا وثيقًا بطيب الرزق، فالرزق الحلال هو أساس قبول الأعمال الصالحة، وأكل الحرام مانع لقبول الأعمال والدعاء.

وضرب النبي ﷺ مثالًا حيًا يوضح هذا المفهوم، وهو حال الرجل الذي يطيل السفر، أشعث أغبر، ويمد يديه إلى السماء متضرعًا بالدعاء: "يا رب، يا رب"، ومع أن هذا الرجل قد اجتمعت فيه أسباب استجابة الدعاء (السفر، التضرع، الإلحاح)، إلا أن دعاءه يُردّ ولا يُستجاب له؛ لأن مصدر رزقه حرام: "ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟"، فالحديث يُظهر بوضوح أن التغذية بالمال الحرام لا تمنع فقط قبول الدعاء، بل إنها تفسد الأعمال الصالحة وتمنعها من أن تكون مقبولة عند الله، ومن هنا كان الاعتناء بجارحة البطن والحرص على الطعام الحلال والرزق الحلال من وصايا الله تعالى للأولين والآخرين (١).

- خامسا: تربية اليد:

تُعدّ اليدان من أعظم نعم الله على الإنسان، فبهما يأكل ويشرب، ويكتب ويعمل، ويكدّ ويسعى، ويتوضأ ويصلي، ويعطي ويجاهد في سبيل الله، وقد امتنّ الله تعالى على عباده بهذه النعمة العظيمة فقال: ﴿لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٣٥﴾ [يس: ٣٥] أي إنهم يأكلون من الثمر ومن عمل أيديهم من الغرس والزراعة وما جرى مجراها، فالنعمة في كل الأحوال راجعة إلى الله تعالى، فهو الخالق المبدع للثمر والزارع الحقيقي للأرض، وهو الذي أنعم على الإنسان بيده التي يسعى ويعمر بها في الأرض (٢).

وتُظهر الآية الكريمة ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [الحج: ١٠] مبدأ العدالة الإلهية المطلقة، مؤكدة على أن الجزاء الذي يواجهه الإنسان هو نتيجة مباشرة لأفعاله وكسبه، والتعبير بـ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ بلاغة فائقة تشير إلى جميع المعاصي والآثام التي ارتكبها الفرد، وإن كان التعبير عن الجوارح باليد؛ كونها الأداة الأكثر وضوحًا في تنفيذ الأفعال، مما يجعلها رمزًا للإرادة والفعل الإنساني.

وعلى الرغم من أن جميع الجوارح تُسهم في اقتراف الذنوب، إلا أن التعبير باليد يُعدّ من باب التغليب، حيث ترمز إلى القدرة والسلطان في الفعل، مما يؤكد مسؤولية الإنسان الكاملة

(١) ينظر: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي الدمشقي الشهير بابن رجب: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، المحقق: شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨هـ) وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م (١/ ٢٥٨).

(٢) ينظر: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ (٤/ ٤٥٣).

عن كافة أعماله التي تصدر بملء إرادته واختياره [١].

وقد نهى الشرع عن البطش باليدين في الظلم والاعتداء، وجعل سلامة اليد علامة كمال الإسلام، ففي الحديث: "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ" [٢]، وهو يمثل قاعدة كبرى في تهذيب الجوارح، إذ جعل معيار كمال الإسلام قائمًا على سلامة الناس من أذى اللسان واليد، فالمسلم الحق ليس من اكتفى بالانتساب إلى الإسلام اسمًا، وإنما من جسّد حقيقة الإسلام سلوكًا، بأن كان مصدر أمن لا مصدر أذى.

وقد ذهب الشراح إلى أن المراد ليس مجرد إثبات الاسم، بل إثبات الكمال، أي أن المسلم الكامل هو الذي لا يضر أحدًا بجوارحه، فعلامة المسلم أن يكون مأمون الجانب، سالم الجوارح، وإذا كان مأمورًا بحسن المعاملة مع إخوانه المسلمين، وذكر "اللسان واليد" فلأنه لا يكاد يوجد أذى إلا وهو صادر عنهما، فاللسان يعبر عما في النفس، واليد فهي أداة البطش والتنفيذ، وتشمل أذاها ما يكون بالضرب وأخذ الحقوق والاستيلاء على الممتلكات ظلمًا، كما تشمل اليد المعنوية التي تمثل الاستحواذ والهيمنة بغير حق [٣].

كما أمر الشرع بتسخير اليدين في العمل الشريف والكسب الحلال، حتى قال النبي ﷺ: "مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ" [٤]، فاليد وسيلة للكسب الحلال والاعتماد على فضل الله ورزقه بالأخذ بالأسباب ففي هذا الحديث تقرير لأفضلية الكسب المباشر، حيث يكون الإنسان آكلاً من جهد يده وكدّه، بعيدًا عن البطالة أو الاتكال على غيره، فداود عليه السلام، الذي كان خليفة في الأرض وقد أغناه الله، لكنه مع ذلك اختار أن يكون رزقه من عمل يده ليضرب أسمى الأمثلة في شرف الكسب، وليؤكد أن العمل لا ينافي مقام النبوة ولا الولاية، بل هو من كمال التوكل؛ لأن التوكل الحقيقي لا يلغي السعي، وإنما يجمع بين الثقة بالله والأخذ بالأسباب.

وقد ورد أن داود زرادا، وكان آدم حراثا، وكان نوح نجارا، وكان إدريس خياطا، وكان موسى راعيا، وفي تخصيص الأنبياء المذكورين بحِرَف يدوية (كالزراعة والنجارة والرعي

(١) ينظر: التفسير المنير - الزحيلي (١٧/ ١٦٨).
(٢) صحيح البخاري – كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، حديث رقم (١٠)، (١/ ص١٣)، وصحيح مسلم – كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل؟، حديث رقم (٤١)، (١/ ص٤٨).
(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٣).
(٤) صحيح البخاري – كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، حديث رقم (١٩٦٦)، (٢/ ص٧٣٠).

والخياطة) دلالة بليغة على أن الأنبياء، وهم صفوة الخلق، لم يُربّوا أتباعهم على الترف والكسل، بل على الجدّ والسعي الشريف، وبيان لفضيلة اليد وأنها نعمة عظيمة من الله تعالى(١).

- سادسا: تربية الرجل:

تمثل الرجلان أداة الحركة والسعي، وقد شهد لهما القرآن الكريم بأنهما من الجوارح التي تشهد على الإنسان يوم القيامة: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، وهذه الشهادة تجعل المسلم في وعي دائم بأن خطواته محسوبة، وأن حركاته مرصودة، وأنه مسؤول عن كل طريق سلكه برجليه، فلا يستعملهما في معصية، بل يوجههما إلى الطاعة.

وقد عني القرآن بجارحة الرجل عناية بالغة، فجعلهما الله وسيلة قوام الإنسان في معاشه وعبادته، يقف ويمشي ويصعد وينزل ويسعى بهما في طلب الرزق، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، فالله تعالى خلق الأرض سهلة لينة مهيأة للاستقرار والمعاش، كالذلول المنقاد لصاحبه، ولو كانت الأرض شديدة الحزونة والاضطراب لما استقر عليها الإنسان ولا تمكّن من عمارتها، ثم قال تعالى ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أي: في جبالها وأطرافها وفجاجها وطرقها، كما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم، وهو أمر إباحة يتضمن الامتنان، إذ سوّى الله الأرض وجعلها مطواعةً ميسّرة للمشي والانتشار فيها، ليبتغي الإنسان من رزق الله الحلال (٢).

وليس دور الرجلين دنيوياً فحسب، بل هما وسيلة لعبادات جليلة؛ إذ بهما يسعى المؤمن إلى المساجد لأداء الصلاة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الجمعة: ٩]، وقد ورد الأجر العظيم في السير إلى المسجد قال رسول الله ﷺ: "مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ" (٣)، فالرجلان وسيلة لهذه الفضائل كلها، سواء في زيارة المريض، أو قضاء الحاجات، أو السعي في الإصلاح بين الناس.

وقد نهى الإسلام عن استعمال الرجلين في الشر، كالمشي بالنميمة، أو التردد على أماكن

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٤/ ٣٠٦).
(٢) ينظر: تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢١٤).
(٣) ينظر: صحيح البخاري – كتاب الجماعة والإمامة، باب فضل من غدا إلى المسجد ومن راح، حديث رقم (٦٣١)، (١/ ص٢٣٥).

الفساد، أو السعي إلى الفجور، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ١١﴾ [القلم: ١٠–١١]، أي لا تطع من اعتاد كثرة الحلف في الحق والباطل، فإن كثرة الأيمان دليل على ضعف اليقين وخفة العقل، وهو سمة المهانة وسقوط المروءة، ثم قال سبحانه: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١] أي: طعّان عيّاب يذكر الناس بالشرّ في وجوههم، ويشيع بينهم الفساد بالمشي بالنميمة، وهي من أخطر الآفات الأخلاقية التي تفرّق الصفوف وتمزق المجتمع (١).

وقد نهى الله تعالى عن المشي كبراً وبطراً فقال تعالى ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧] أي: لا تسر في الأرض مختالاً مسرفاً في فرحك وزهوك، بل تواضع لربك الذي خلقك ورزقك، وهو القادر عليك في كل لحظة، فالإنسان قد يفتنه جاهه فيغتر به، غير مدرك أن الجاه نعمة يمنحها الله ويسلبها متى شاء، وقد يطغى بصحته وقوة بدنه ناسياً أنها وديعة سرعان ما تُسترد، وهكذا يربي القرآن الكريم المسلم على التواضع وخفض الجناح، وعلى إدراك أن قيمة الإنسان عند الله ليست بما يملك من مال أو جاه أو ولد، وإنما بما يحمله قلبه من إخلاص وإيمان، وبما تجسده جوارحه من طاعة وإحسان (٢).

- **سابعا: تربية الفرج:**

الفرج هو موضع العفة وحصن العرض، وقد أمر الله تعالى بحفظه، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ٧﴾ [المؤمنون: ٥–٧]، فالآيتان الكريمتان بينتا أن من صفات المؤمنين حفظ الفرج وصيانته عن الحرام، إذ إن صيانة الفروج من أعظم دلائل العفة والطهارة، وهي ركن أساسي في بناء المجتمع السليم، وقد استثنت الآية الزوجات والإماء مما أحل الله تعالى، فالمؤمن لا يُلام على معاشرة زوجه التي عقد عليها بعقد شرعي صحيح، ولا على أمَته، أما غير ذلك فهو عدوان وزنى محرّم، إذن فهذه حدود الطهارة والعفة في حياة المؤمن، ومَن تجاوز هذه الحدود فقد وقع في الفاحشة واستحق الملامة والعقاب، بينما من اقتصر على ما أحل الله فهو في مأمن من اللوم والإثم، بل مأجور على إعفاف نفسه وأهله (٣).

ومفهوم (الحفظ) هنا لا يقتصر على ترك الزنا فقط، بل يشمل غض البصر، والبعد عن

(١) ينظر: التفسير المنير - الزحيلي (٢٩/ ٥٢).
(٢) ينظر: التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٥/ ٧٥٧).
(٣) ينظر: التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٦/ ١٢٦٩).

دواعي الفتنة، والتزام الطهارة القلبية والجسدية، ولذلك جعل الإسلام الزواج وسيلة شرعية لقضاء الشهوة في إطار الطهر والعفة، واعتبره من سنن الأنبياء، قال ﷺ: "النِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي، فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِسُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي" (١)، وقد نهى الله تعالى في كتابه عن مجرد مقاربة الزنا فضلًا عن الوقوع فيه، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، فجعل النهي منصبًّا على الاقتراب منه؛ سدًّا للذرائع، وحمايةً للنفوس من الانزلاق إلى هذه الجريمة، لما يترتب عليها من ضياع الأعراض، واختلاط الأنساب، وانتشار الأمراض، وتفكك الأسر، وخراب المجتمعات (٢).

وقد جاء النبي ﷺ ليُربي النفوس على قبح هذا الفعل ويغرس في القلوب النفور منه، كما ورد التحذير في الحديث "لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ. وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلَا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ " (٣)، وقد أجمع الفقهاء على أن النظر إلى العورة محرَّم، سواء أكان الرجل مع الرجل أم المرأة مع المرأة، إلا ما دعت إليه ضرورة معتبرة كالعلاج أو المعاملة أو الشهادة، ويكون ذلك بقدر الحاجة ومن غير شهوة، وأما النظر بين الجنسين الأجانب فهو من باب أولى أشد تحريمًا، إذ الأصل أن عورة الرجل على المرأة الأجنبية جميع بدنه، وكذلك عورة المرأة على الرجل الأجنبي جميع بدنها، وقد بيَّن العلماء أن حدود العورة بين الجنس الواحد هي ما بين السرة والركبة، وهذا باستثناء الزوجين أو السيد مع أمته التي تحل له، فله أن ينظر إلى كل شيء منها على وجه الاستمتاع، ولا يقتصر النهي على النظر فحسب؛ بل يتعداه إلى اللمس أيضًا، إذ لا يجوز لمس العورات باليد أو بغيرها إلا للزوجين أو لموضع ضرورة معتبرة، ذلك لأن اللمس مظنة الفتنة والشهوة (٤).

ومن خلال ما سبق يتضح أن جسد الإنسان هو أمانة من الله، وجوارحه هي أدوات تُستخدم إما في الطاعة أو في المعصية، وإنّ وعي الإنسان بهذه الجوارح، وكونها شواهد عليه يوم القيامة؛ هو ما يدفعه إلى توجيهها نحو الخير، فكل جارحة من هذه الجوارح مسؤولة عن عملها أمام الله، وفلى كل إنسان أن يدرك أهمية المحافظة على هذه الأمانة، وأن يستخدمها

(١)أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني: سنن ابن ماجه، المحقق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمد كامل قره بللي وعبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م – أبواب النكاح، باب ما جاء في فضل النكاح، حديث رقم (١٨٤٦)، (٣/ ص٥٤).
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٧١).
(٣) صحيح مسلم – كتاب الحيض، باب تحريم النظر إلى العورات، حديث رقم (٣٣٨)، (١/ ص١٨٣).
(٤) ينظر: شرح النووي على مسلم (٤/ ٣٠).

فيما يرضي الله، وأن يكون واعيًا لكل حركة وسكون.

الخاتمة

تناول هذا البحث موضوع تربية الجوارح في الإسلام من منظور تكاملي يجمع بين المعرفة والوجدان والعمل، باعتبارها إحدى الجدارات الإسلامية الأساسية التي تسهم في بناء شخصية المسلم المتوازن، الذي يربط بين الإيمان الباطن والعمل الظاهر، وبين العلم النظري والتطبيق العملي.

وقد حاولت الدراسة أن تؤصّل لمفهوم تربية الجوارح تأصيلاً شرعيًا وتربويًا، وتكشف عن أبعادها الثلاثة (المعرفية، الوجدانية، السلوكية)، مع بيان أثرها في بناء الفرد والمجتمع، وإبراز ضرورتها في مواجهة التحديات المعاصرة التي تهدد القيم والهوية الإسلامية.

وقد أسفرت الدراسة عن عدة نتائج بارزة، يمكن إجمالها فيما يلي:

١. التأصيل الشرعي لتربية الجوارح: تبيّن أن القرآن الكريم والسنة النبوية أوليا عناية عظيمة بالجوارح، إذ ربطا صلاح الباطن بصلاح الظاهر، وجعلا الجوارح أداة تنفيذية للمعاني الإيمانية، وشاهدة على صاحبها يوم القيامة.

٢. تكامل الأبعاد الثلاثة لجدارة تربية الجوارح: أظهرت الدراسة أن تربية الجوارح ليست مجرد سلوكيات ظاهرية، بل عملية متكاملة تشمل المعرفة التي تهدي، والوجدان الذي يضبط، والسلوك الذي يترجم القيم إلى واقع عملي.

٣. أثر تربية الجوارح في الانضباط الذاتي: خلص البحث إلى أن ضبط الجوارح يسهم في تعزيز الرقابة الداخلية، والحد من الانحرافات السلوكية، وتكوين الشخصية المسلمة الراشدة القادرة على مقاومة المغريات.

٤. الدور التربوي لبناء الهوية الإسلامية: كشفت الدراسة أن تربية الجوارح تمثل حصانة تحمي المسلم من الذوبان في ثقافة الانحراف، وتعينه على ترسيخ هويته الدينية والأخلاقية في مواجهة تحديات العصر.

٥. تأثر البعد المجتمعي بتربية الجوارح: أوضح البحث أن أثر هذه الجدارة لا يقف عند حدود الفرد، بل يمتد إلى المجتمع من خلال إشاعة الأخلاق، وتثبيت القيم، وبناء بيئة متوازنة تحقق الأمن القيمي والاجتماعي.

وانطلاقًا من هذه النتائج، توصي الدراسة بما يلي:

١. إدماج جدارة تربية الجوارح في المناهج التربوية: من خلال مقررات وأنشطة تستهدف

تدريب الطلاب على ضبط جوارحهم، وربط العلم بالعمل، والإيمان بالسلوك.

٢. تعزيز الوعي المجتمعي بقيمة تربية الجوارح: وذلك عبر برامج دعوية وإعلامية وتثقيفية تسلّط الضوء على أثرها في حماية الفرد والمجتمع من الانحراف.

٣. تأصيل الممارسة التربوية في ضوء البعد الوجداني: بتربية الناشئة على المراقبة والخشية، حتى تكون الرقابة ذاتية منطلقة من القلب، لا مجرد التزام خارجي.

٤. إعداد برامج عملية لتدريب الجوارح على الطاعة: مثل برامج عملية لغض البصر، وضبط اللسان، وحماية اليد من العدوان، حتى تتحول القيم النظرية إلى عادات سلوكية.

٥. تشجيع البحوث التطبيقية: التي تربط بين جدارة تربية الجوارح والعلوم الاجتماعية والنفسية والتربوية، بما يسهم في تقديم نماذج عملية قابلة للتطبيق في المدارس والمجتمعات.

وفي الختام، يمكن القول إن تربية الجوارح تمثل جدارة إسلامية أساسية لا غنى عنها في بناء المسلم المتكامل، إذ تجمع بين نقاء التصور، وصفاء الشعور، وصلاح السلوك، فتجعل من المسلم إنسانًا راشدًا قادرًا على حمل رسالة الاستخلاف، والإسهام في نهضة أمته بروح منضبطة بالشرع، ومزدانة بالفضيلة.

وإذا كانت التحديات المعاصرة تضغط على الإنسان لتفتيت قواه وإغراقه في شهواته، فإن استحضار جدارة تربية الجوارح يمثل طوق نجاة فرديًا ومجتمعيًا، يربط الإنسان بربه، ويهذب سلوكه، ويحقق التوازن بين مطالبه الروحية والجسدية، ومن هنا تأتي أهمية العناية بهذا المفهوم وتفعيله في البرامج التربوية والدعوية، حتى يكون للمسلم حصانته الداخلية، ويظل قائمًا برسالته في عمارة الأرض، ونشر الخير، وتحقيق العبودية لله تعالى.

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤]

المراجع

١- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت، بدون تاريخ نشر.

٢- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، حققه: محمد عزير شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، راجعه: سليمان بن عبد الله العمير – محمد أجمل الإصلاحي، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الثالثة، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م.

٣- الخطيب البغدادي: اقتضاء العلم العمل، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٤- محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – دولة الكويت، عدد الأجزاء: ٤٠، أعوام النشر: ١٣٨٥ – ١٤٢٢هـ / ١٩٦٥ – ٢٠٠١م.

٥- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، المحقق: حكمت بن بشير بن ياسين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – السعودية.

٦- وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر (دمشق – سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٧- مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، إعداد: لجنة من العلماء، مراجعة: مصطفى محمد الحديدي الطير (ت ١٤٠٩ هـ)، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ – ١٤١٤ هـ) = (١٩٧٣ – ١٩٩٣ م).

٨- أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي: تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، حققه: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

٩- أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: الجامع الصحيح «صحيح مسلم»، المحققون: محمد ذهني أفندي، إسماعيل بن عبد الحميد الحافظ الطرابلسي، أحمد رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري، محمد عزت بن عثمان الزعفرانبوليوي، أبو نعمة الله محمد شكري

بن حسن الأنقروي، دار الطباعة العامرة – تركيا، ١٣٣٤ هـ.

١٠- أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي: الجامع الكبير «سنن الترمذي»، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

١١- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.

١٢- نجم الدين محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي: حسن التنبه لما ورد في التشبه، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

١٣- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، حققه: محمد عزير شمس، راجعه: سليمان بن عبد الله العمير ومحمد أجمل الإصلاحي، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الرابعة، ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م.

١٤- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٥- أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني: سنن ابن ماجه، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م – أبواب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث رقم (٣٩٧٣).

١٦- أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني: سنن أبي داود، المحقق: شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨هـ) ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

١٧- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١٨- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي: صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة – دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

١٩- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة،

مراجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.

٢٠- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ترقيم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨ هـ)، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب (ت ١٣٨٩ هـ)، المكتبة السلفية – مصر، الطبعة: الأولى، (١٣٨٠ – ١٣٩٠ هـ).

٢١- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٢- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ): مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٢٣- الإمام أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، حققه: شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨ هـ) – عادل مرشد – وآخرون، بإشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٢٤- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٨٩ – ١٣٩٢ هـ / ١٩٦٩ – ١٩٧٢ م.

٢٥- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.